شعر علي بن أبي طالب

للأســـتاذ السيد يعقوب بكر

(تتـــمة)

هل علي حقا صاحب الديوان المنسوب إليه ؟

لعلّنا ملزومون ، بعد أن انتهينا إلى أنه كان من الشعراء ، بأن نصل إلى رأي في هذه المسألة : وهي هل علي حقاً صاحب الديوان المنسوب إليه ؟ ولقد وصلنا فعلاً إلى رأي في هذه المسألة ، ولكننا نحب قبل أن نذكره أن نذكر آراء بعض العلماء فيها :

فهناك رأي للأستاذ بروكلمان ذكره في كتابه سالف الذكر حيث يقول (حـ ١ ص٤٣) : « ليس من شك في أن عليّا كان ذا ملكة شعرية ، ولكن المشكوك فيه كثيراً وجود قصائد صحيحة له في ديوانه ؛ وإلى جانب ذلك فإن هذه القصائد تحمل طابعاً من انتحال شيعي بلغ من البدوّ للعيان حدّا جعل النقاد من أهل السنة فيما مضى يدركون زيفها »

وهناك رأي آخر للأستاذ هداية حسين[1] ذكره الأستاذ بروكلمان في ملحق كتابه السابق ؛ فقد قال (حـ ١ ص ٧٣) إنه — أي هداية حسين — وصل إلى أن ناظم الديوان هو قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (توفي ٥٧٣ ـ ١١٧٧)

وهناك رأي أخير للأستاذ مستقيم زاده ذكره (هيار) في كتابه Littérature Arabe حيث يقول (ص ٢٥٢) : « وأكد الشارح مستقيم زاده أيضاً أنه (الحديث عن الشريف المرتضى) الناظم الحقيقي للديوان المنسوب إلى علي الذي لم يكن يستحيل عليه شيء »

فهذه آراء ثلاثة ذكرناها لنصوّر ذلك الاختلاف الشديد حول الديوان ونسبته ، ولنخرج من هذا الاختلاف الشديد إلى رأي لنا في هذه المسألة نحن نستريح إليه ونرجو أن يستريح إليه القارئ أيضاً :

لا يمكن القول بأن جميع ما في الديوان ليس لعلي ؛ فهذه دعوى ينقضها من أساسها أنه قد ورد في هذا الديوان الشعر الذي وجدناه في تلك المراجع العربية المعتمدة سالفة الذكر والذي كان وجداننا له فيها مما حملنا على التسليم بصدق نسبته إلى علي . فالبيتان المذكوران في عيون الأخبار تجدهما في الديوان ص ٥٨ مع تغيير بسيط ، والأبيات المذكورة في معجم الأدباء تجدها في ص ٣٢ وص ٦٣ مع بعض الزيادة والتغيير ، والرجز المذكور في مقاتل الطالبيين تجده في ص ٣٣ مع زيادة وتغيير كثيرين ، والأبيات المذكورة في العمدة مذكورة في ص ٦٤ وص ٦٥ مع زيادة وتغيير كثيرين ، والأبيات المذكورة في حماسة البحتري تجدها في ص ٣٠ وص ١٢ مع بعض الزيادة والتغيير ، والرجز المذكور في الكامل تجده في ص ١٨ مع بعض الزيادة ، والأبيات

(١) ذكر عنه الأستاذ بروكلمان في ملحق كتابه (حـ ١ ص ٧٣) أنه جمع آراء مؤلفي الشيعة في الناظم الحقيقي للديوان الروى غالباً باسم (أنوار العقول لوصي الرسول) . ولم نستطع لسوء الحظ أن نطلع على عمله هذا

نذير من صفارة أو بوق ، وأنظر فأرى لهيبها ودخانها يثوران فوق رأسي ، فأسرع بالدخول في بيت بلا أبواب ، بيت لا يزال في مهد البناء ، والمصريون لا يكفّون عن البناء ولو ارتفعت تكاليفه إلى عشرات الأضعاف

طق ، طق ، طق ! ! !

وألتفت مرة ثانية فأرى الأخشاب التي تحمل السقف مهددة بالسقوط ، فأقفز إلى الفضاء ، وقد اخترت لون الموت ، وللموت ألوان : رأيت الموت بشظية يدفع أفضل من الموت بسقوط تخشيبة ، كما أن الموت بالبطلة أفضل من الموت بالجوع !

ثم نظرت فرأيت الضرب ابتعد ، فهو ضرب طيارة انجليزية تطارد طيارة ألمانية ، وقد أفلح الضرب فسقطت الطيارة المطاردة عند الكيلو رقم ٣ بطريق السويس ، وكفى الله رأسي شر الهلاك ، وضاعت الفرصة على أعدائي ، فلم يحبّروا المقالات الطوال في : « مصرع الملاكم الأدبي » : والمستميت لا يموت ، كما قال الحكماء ! !

أفي هذه الأيام نقرأ ونكتُب ، ونحاسب هذا الشاعر ، ونصاول ذلك الكاتب ؟ !

نعم ، ثم نعم ... فليحاول الدهر بأحداثه وخطوبه زعزعة الفكر الثاقب والقلم البليغ !

محمد زكي مبارك

المذكورة فى العقد الفريد تجدها فى ص ٦٥ مع زيادة وتغيير غير قليلين

وإذن فالصواب هو أن بعض ما فى الديوان لعلى ، وبعضه الآخر ليس له . وهذا البعض الآخر إنما نستدل على أنه ليس لعلى بعدّة أشياء :

١ — أن بعض المتقدمين نبّه على أن بعضه ليس لعلى :

(ا) يقول ابن هشام فى سيرته (ج ٢ ص ٦٣٥ — ٦٣٦ ط جوتنجن) : « قال ابن إسحق وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه قال ابن هشام قالها رجل من المسلمين فى يوم أحد فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلى رحمه الله :

لا هُمَّ إن الحارث بن الصِّمَّهْ كان وفيّا وبنا ذا ذمّهْ
أقبل فى مهامهٍ مُهِمَّهْ كليلة ظلماء مدلهمّهْ
بين سيوف ورماحٍ جَمَّهْ يبغى رسول الله فيها ثمّهْ

وهذه الأبيات مذكورة فى الديوان ص ٦٦ مع تغيير كثير .

(ب) ويقول ابن هشام أيضاً (ص ٦٥٦ — ٦٥٧) : « قال ابن إسحاق وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الأشرف قال ابن هشام قاله رجل من المسلمين غير على بن أبي طالب فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلى رضى الله عنه :

عرفتُ ومن يعتدل يعرفِ وأيقنت حقاً ولم أصدفِ
الخ »

وهذه القصيدة مذكورة فى الديوان ص ٤٢ مع تغيير بسيط

(ج) ويقول الطبرى (الجزء الثالث من القسم الأول ، ص ١٤٢٦ ط ليدن) : « وزعموا أن على بن أبى طالب حين أعطى فاطمة عليهما السلام سيفه قال :

أفاطم هاك السيف غير ذميم فلست برعديد ولا بمُليم
لعمرى لقد قاتلت فى حبّ أحمد وطاعة رب بالعباد رحيم
وسيفى بكفى كالشهاب أهزّه أجُدّ به من عاتق وصميم
فما زلت حتى فضّ ربى جموعهم وحتى شفينا نفس كل حليم

والأبيات مذكورة فى الديوان (ص ٦٥) مع زيادة فيها وتغيير كثير .

٢ — أن بعضه يحمل طابعاً شيعيًّا :

فمن هذا البعض القصيدة التى فى (ص ٣) من الديوان ، والتى مطلعها :

وما طلب المعيشة بالتمنّى ولكن ألق دلوك فى الدلاء

فإنها تنتهى بهذا البيت :

وهذا العلم لم يعلمه إلا نبىّ أو وصىّ الأنبياء

وغير خاف ما فى (وصي الأنبياء) من دلالة

ومنه القصيدة التى فى (ص ٤٨) وهى :

بُنىّ إذا ما جاشت الترك فانتظر ولاية « مهدىّ » يقوم فيعدل
وذلّ ملوكُ الظلم من آل هاشم ويوبع منهم من يلدّ ويهزل
صبىّ من الصبيان لارأى عنده ولا عنده جِدّ ولا هو يعقل
فثمّ يقوم القائم الحقُّ منكم وبالحق يأتيكم وبالحق يعمل
سمّى رسول الله نفسى فداؤه فلا تخذلوه — يا بَنىّ — وعجلوا

فغير خاف ما فى القصيدة من حديث عن المهدى المنتظر

٣ — إن معانى بعضه أو أسلوبه مما لا يمكن صدوره عن على أو فى عصر على :

فالقصيدة الواردة فى (ص ٤) من الديوان والتى مطلعها :

لبيك لبيك أنت مولاه فارحم عُبيْدا إليك ملجأه

مما لا يمكن صدوره عن على ؛ ففيها تصوير لحديث بين على والله ولا شك أن عليًّا يتحرّج من مثل هذا ، وأغلب الظن أن مثل هذه القصيدة من وضع أحد متصوفى الشيعة

والبيتان الواردان فى (ص ٤) أيضاً وهما :

دع ذكرهن فما لهن وفاء ريح الصبا وعهودهن سواء
يكسرن قلبك ثم لا يجبرنه وقلوبهن من الدواء خلاء

مما لا يصدر عن على ، إذ هما فى الغزل ، والغزل مما يتحرّج منه علىّ

وكذلك الأبيات الواردة فى ص ١٨ وهى :

جنبى تجافى عن الوساد خوفاً من الموت والمعاد
من خاف من سكرة المنايا لم يدر ما لذة الرّقاد
قد بلغ الزرع منتهاه لا بد للزرع من حصاد

لا تصدر عن على ؛ إذ أن مثله لا يخاف الموت أو المعاد

وهناك قصائد تظهر فيها ركة الأسلوب بحيث لا يمكن القول بأنها صدرت فى عصر على . ونضرب مثلاً لذلك القصيدة الواردة

فى ص ٣ ـ ٤ من الديوان ومطلعها :

وكم ســاعٍ ليثرى لم ينله وآخر ما سعى لحق الثراء

والبيتين الثلاثة الواردين فى ص ٧ وهما :

الدهر يخنق أحياناً قلادته عليك لا تضطرب فيه ولا تثب
حتى يفرجها فى حال مدّتها فقد يزيد اختناقاً كل مضطرب

والأبيات الثلاثة الواردة فى ص ١٥ وأولها :

قد رأيت القرون كيف تفانت درست ثم قيل كان فكانت

والبيتين الواردين فى ص ٢٤ وهما :

أغمض عينا على القـذى وتصـــبّر على الأذى
إنمـا الدهر ســاعة يقطع الدهر كلّ ذا

والأبيات الواردة فى ص ٢٥ وأولها :

عسى منهل يصفو فيروى ظمية أطال صداها المنهل المتكدّر

ثم هناك قصيدة على نمط ألفية ابن مالك فى آخر الديوان ، لا شك فى وضعها ، لأن ذلك النمط من القصائد لم يكن موجوداً فى عصر على وإنما جاء فى عهود متأخرة

* * *

ثم إننا نعتقد اعتقاداً جازماً أن هـذه الأشعار الموضوعة لم يضعها شخص بعينه ؛ وذلك لأنها متفاوتة الأسلوب ، ففيها القويُّ الرائع وفيها الضعيف الركيك . وإنما الذى نراه أن هذه الأشعار قد وضعها أناس مختلفون معظمهم من الشيعة ، ونسبوها إلى على حبا فيه ورغبة منهم فى إسناد فضلهم فى نظم هـذه الأشعار إليه . ثم جاء جامع الديوان ، فجمع كل ما عثر عليه من الشعر المنسوب إلى على دون أن يميز بين صحيح النسبة وباطلها ، ودون أن يفرّق بين المصادر التى ذكرت فيها هذه الأشعار فينقل عن الوثيق منها ويضرب صفحاً عن المتهم . فهذا إجمال رأينا فى الديوان

دراسة شعره الصحيح

هذا القسم الثالث من البحث لا بد منه لكى يتمّ هذا البحث ويستكمل فروعه . غير أننا لسنا فى حاجة الآن إلى تناوله ؛ فقد سبق أن قلنا فى الخطوة الثالثة من البرهان على أن علياً كان من الشعراء ، ما يصلح أن يوضع هنا .

(تم البحث) السيد يعقوب بكر

من أدب الحرب

عند ما يعود السلام !

عند ما يعود السلام
سوف أضىء كل مصابيح منزلى
وسأفتح كل نافذة فيه على مصراعيها
وستنعكس الأنوار على صفحة البحر فيبدو منظرها الرائع
فاتناً فوق الأثباج ، ويتراقص ضوءها اللامع فوق الأمواج
سوف أعود ثانية فأضىء الأنوار فى جميع جنبات الدار
عند ما يعود السلام

* * *

عند ما يعود السلام
سوف أسير فى القمراء فوق الغبراء ، وقد أشرقت بالضياء ،
وسأنظر إلى القبة الزرقاء ، وهى فى سكون وصفاء
وسأعود إلى عشق الليالى المقمرة من جديد ، وأنا جد سعيد ،
عند ما يعود السلام

* * *

عند ما يعود السلام
سوف أتملى محاسن الكون وجمال الوجود
وسأمتع ناظرى برؤية الغابات والتلال وقد كساها الجليد .
وسوف أسيح فى الأرض حتى أبلغ التخوم والحدود !
وسأزور الدول الحرة مرة أخرى
عند ما يعود السلام

* * *

عند ما يعود السلام
سوف ألتقى الناس جميعاً بعد طول الفراق ، وأطفىء بلقائهم نار الأشواق
سوف ألتقى بأخوتى وأصدقائى وأحبتى
سأقابل من ظل باقياً على قيد الحياة
وسأبكى على من قضى بكاء الحزين بالدمع السخين !
عند ما يعود السلام .

[عن الانجليزية] أحمد عبد اللطيف الخضراوى